مجلة عصور الجديدة- مجلة مصنفة ج يصدرها مختبرتاريخ الجزائر-
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد11- العدد3 (نوفمبر) 1442-1443هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

معرف الكائن الرقمي للمقال (DOI):10.54240/2318-011-003-012

وظائف المغاربة في الحجاز
إبان القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي

Moroccan jobs in Hijaz
during the 12 century AH/18 century AD

اسم ولقب المؤلف المرسل: د. الحاج صادوق- Sadok Elhadj صص244-255
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر "أ" جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله -الجزائر.
البريد الإلكتروني: sadokelhadj@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2021/06/27 تاريخ المراجعة:2021/07/07 تاريخ القبول:2021/11/10

الملخص: لقد تولى المغاربة في الحجاز، وبخاصة في المدينة المنورة الوظائف العسكرية والدينية والعلمية وغيرها من الوظائف، ومنها طبقة العلماء والتجار وغيرها من الطبقات الدنيا، إلا أن الشيء الذي ميز المغاربة في المدينة المنورة بكل طبقاتهم هو ذلك التماسك والتنظيم، وتظهر طائفة المغاربة في مختلف الطبقات من توليهم الوظائف والحرف، كوجودهم في الطبقات العليا مثل العسكريين والعلماء، ومنها دون ذلك من الطبقات الموجودة في الحجاز خاصةً المدينة المنورة حينذاك.

لقد تنوعت هذه الوظائف من عسكرية وقضائية ودينية وعلمية، ولا شك أن هذه الوظائف تُؤكد وضع المغاربة الاجتماعي في الحجاز خاصة في المدينة المنورة ومكة المكرمة خلال الحقبة التاريخية والمتمثلة في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي

الكلمات المفتاحية: المغاربة؛ الحجاز؛ الوظائف؛ العلمية؛ العسكرية؛ القضائية؛ الدينية؛ التماسك؛ التنظيم الاجتماعي؛ الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

Abstract: The Moroccans in the Hijaz, especially in Madinah al-Munawwarah, assumed military, religious, scientific and other jobs, including the class of scholars, merchants and other lower classes. Jobs and trades, such as their presence in the upper classes for example: military, scholars and other classes.

مجلة عصور الجديدة- مجلة مصنفة ج يصدرها مختبرتاريخ الجزائر-
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد11- العدد3 (نوفمبر) 1442-1443هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

These jobs varied from military, judicial, religious and scientific, and there is no doubt that these confirm the social status of Moroccans in the Hijaz, especially in Medina and Mecca during the historical era represented in the twelfth century AH/eighteenth century AD.

Keywords: Moroccans; Hijaz; scientific; military; judicial; religious jobs; cohesion; social organization; the 12 Century Hijri/18 century AD.

المقدمة: إن البيئة السكانية لمنطقة الحجاز كانت في مطلع القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي تتكون من الأشراف والقبائل العربية وبقية سكان مناطق شبه الجزيرة العربية، إضافة الى الوافدين من الدول العربية والإسلامية، وبخاصة المغاربة الذين قدموا إليها لعدة دوافع منها الدينية وذلك لأداء مناسك الحج، أو دوافع سياسية والتي أدت إلى هجرة المغاربة إلى الحجاز خوفاً على أنفسهم من الحروب والفتن والقتل أو لدوافع اقتصادية، ثم استوطنوا في الحجاز عامة والمدينة المنورة ومكة المكرمة خاصة، وكان لهذا الخليط من القوميات المختلفة أثره على العادات والتقاليد، ولا سيما أن تعداد الوافدين من المغاربة إلى الحجاز في كثير من الفترات لم يكن قليلاً، بل ربما فاق أحيانا عدد الأهلي الحجازيين، مع مرور الزمن أصبحوا من أهلها وأثروا في عاداتها وتقاليدها بقدر ما انصهروا فيها وتأثروا بها.

وتتبع الورقة البحثية طبيعة تأثير المغاربة على البيئة الحجازية والمجتمع الحجازي، ومن ثمة كانت الإشكالية المطروحة هي: الى أي مدى كان أثر المغاربة على البيئة الحجازية والمجتمع الحجازي؟ وماهي أهم الوظائف التي تقلدوها بالمنطقة خلال فترة القرن الثامن عشر الميلادي؟

للإجابة على هذه الاشكالية تطرقت إلى الوظائف التي تولاها المغاربة في الحجاز إبان القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي والتي تنوعت من عسكرية حيث كان للمغاربة وجود كبير وهام في وجاق الأسباهية ووجاق القلعة السلطانية، وقضائية وقد تمثلت في القضاء، ونيابة القضاء، والحسبة حيث كان لمجموعة من المغاربة المسؤولية في الحل والعقد في الحجاز عامة والمدينة المنورة ومكة المكرمة خاصة، ودينية وعلمية فهناك مجموعة من المغاربة تقلدوا هذه المناصب كالإمامة والخطابة والاذان. ولا شك أن هذه الوظائف تؤكد وضع المغاربة الإجتماعي داخل منطقة الحجاز خاصة خلال الحقبة

مجلة عصور الجديدة- مجلة مصنفة ج يصدرها مختبرتاريخ الجزائر-
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد11- العدد3 (نوفمبر) 1442-1443هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

التاريخية والمتمثلة في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، والهدف من ذلك هو ابراز بأن المغاربة كانوا طائفة متماسكة إلى حد كبير تختار لها كبيراً يقوم بأمرها هو شيخ الطائفة، وبهذا التنظيم إقتضى أن تكون لها أوقاف خاصة بها تؤكد استقرار هذه الجالية بالحجاز، وشيخ الطائفة مسؤول أدبياً عن المغاربة في منطقة الحجاز وعليه مساعدتهم إذا احتاجوا إلى ذلك.

أما المنهج المتبع في دراسة هذا الموضوع فهو المنهج الوصفي التحليلي الاستنتاجي، ولإثراء هذا الموضوع تحصلت على مادة علمية متفرقة التي استوجبت طبيعة البحث أن يتم تنسيقها من خلال منهج علمي دقيق يجمع متبعثرها، ويلم شتاتها، ويهذب شعذها، ولا سيما والبحث في جملته قائم على المعلومات التي ترد في تراجم العلماء والأدباء وسائر الشخصيات والأعلام.

1- الوظائف العسكرية للمغاربة في الحجاز: تنوعت هذه الوظائف العسكرية من وظائف في وِجاق الإسباهية، وِجاق النوبتجية، وِجاق القلعة السلطانية، ولا شك أن هذه الوظائف تُؤكد وضع المغاربة الاجتماعي في الحجاز خاصة في المدينة المنورة ومكة المكرمة خلال الحقبة التاريخية والمتمثلة في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

1-1- وِجاق الإسباهية: تولى محمد الموهوب المغربي وظيفة في هذا الوِجاق أعقبه ولده شمس الدين في نفس الوظيفة، كما تولى بعض المغاربة في وظيفة جوالة وِجاق الأسباهية مثل زين العابدين بن الإدريسي، إضافة إلى ذلك فقد تولى زين بن شمس الدين بن محمد الموهوب قبل أن يوفد أمير الحاج محمد باشا والي الشام ويُوليه كتخدا الأسباهية، كما تولى الحاج وظيفة في وِجاق الإنكشارية.

1-2- وِجاق النوبتجية: لقد تولى المغاربة فيه وظائف مهمة من ذلك تولي محمد السعيد المغربي جاويشًا في هذا الوِجاق مرتين، ثم تولى أمين بندر ينبع ثم عُزِل[1]، كما أن إبن عذيب المغربي كان جاويشًا في وِجاق النوبتجية[2]، والحاج حمزة حلابة في ذات الوظيفة بنفس الوِجاق أما من تولى كتخدا بذات الوِجاق فكان عبد الله المدني الذي تولى أكثر من مرة وظيفة في وِجاق النوبتجية، ثم تم ترقيته إلى كتخدا النوبتجية ولاه أياها محمد باشا والي الشام.[3]

مجلة عصور الجديدة- مجلة مصنفة ج يصدرها مختبرتاريخ الجزائر-
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد11- العدد3 (نوفمبر) 1442-1443هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

3-1- وجاق القلعة السلطانية: لقد تولى يحي الرصافي الأندلسي[4]المتوفى عام 1178هـ/1764م والسيد عبد الله بن أحمد الأندلسي[5] ومحمد سعيد المغيربي،[6] كما تولى أحمد بن أبي جيدة الفاسي في وظيفة جوربجي في القلعة السلطانية، كما تولى عُبيد الله الطيار وظيفة جوربجي في القلعة ايضًا.[7]

2- الوظائف القضائية: لقد تمثلت هذه الوظائف في القضاء ونيابة القضاء والحسبة، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

2-1- القضاء: كان القاضي في المنطقة من أهم أصحاب الوظائف فيها، حيث كان من أهم الأشخاص الذين لهم المسؤولية في الحل والعقد في المدينة المنورة بمعنى أنه لا يلي أمرًا من الأُمور إلا بإذن المجلس المسؤول معه عن الحل والعقد مثل شيخ الحرم، والمُفتي، والأغاوات، وغيرهم من رجال القلعة العسكرية، وكان راتب القاضي في المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي قد وصل إلى 10188 بارة بالإضافة إلى 366 أردبًا[8]، إضافةً إلى بعض المخصصات الأخرى التي كان يحصل عليها مقابل بعض الأعمال مثل رسوم التقاضي، أو الصدقات والهبات التي كانت تمنح له من بعض الأوقاف مثل: وقف السلطان محمود الأول الذي أوقف (24000) نصفًا فضة ديوانية[9]، ومن بين المغاربة الذين تولوا هذه الوظيفة أحمد الأزهري الذي كان قاضيًا في المدينة المنورة، ثم نقل إلى مكة وعاد وبقي في المدينة حتى وفاته عام 1162هـ/1749م.

ومن بين المغاربة الذين تولوا منصب نيابة القاضي محمد مكي المغربي الذي تولى هذا المنصب عدة مرات، وظل موجودًا بالمدينة المنورة حتى عام 1179هـ/1765م.

2-2- الحسبة: إن الحسبة عند علماء الشريعة هي: الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي على المنكر إذا فشا فعله، وفي القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي كان دور المحتسب يتمثل في مراقبة الأوزان والمكاييل، ومراقبة الأسعار والتجمعات والبنادر، وغير ذلك مما يستخدمه التجار.[10]

ينتمي المحتسب في الدولة العثمانية إلى وِجاق الجاويشية[11]، أما في المدينة المنورة فكان ينتمي إلى وِجاق النوبتجية، وكان يلقب بأمين الإحتساب[12]، ويقوم المحتسب بجولة في الأسواق المنتشرة في المدينة وعلى هذا قام المغاربة بجهد في مراقبة الأسواق في المنطقة،

مجلة عصور الجديدة- مجلة مصنفة ج يصدرها مختبرتاريخ الجزائر-
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد11- العدد3 (نوفمبر) 1442-1443هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ولعل من أبرز الذين تولوا هذه الوظيفة المهمة منهم: السيد غريب المغربي، وكان المحتسب يتولى وظيفته هذه بعد أن يتدرج في عدة وظائف فعلية أن يكون كاتب مال السلطان وتولاها العربي القبيطي وبعدها يتولى وظيفة أمين بندر ينبع مثل السيد محمد سعيد المغربي الذي تولى بعدها مباشرةً وظيفة أمين الإحتساب وكانت هذه الوظيفة من أكبر الوظائف في المدينة المنورة فكان المحتسب يتولى وظيفة كتخدا الوِجاقات.

وهناك وظائف تلحق بالوظائف القضائية أو الرقابية كوظيفة مشد[13] الحجرة النبوية وتولاها أحمد التاجوري المتوفى عام 1148هـ/1735م، كما تولاها أيضًا الحاج محمد السقاط الذي سافر إلى مصر، ثم عاد إلى الحجاز وتولى جورباجيًا في وِجاق النوبتجية، ثم مشديًا بباب الحجرة المطهرة.[14]

3- **الوظائف الدينية:** إن الشيء الذي أدى إلى وجود مكانة عليا للمغاربة بالمنطقة هو أن كبار رجال المنطقة تلقوا العلوم على أيديهم، حيث نجد أن رئيس علماء الحنفية في المدينة المنورة يتلقى العلوم الإسلامية والعربية على أيدي المغاربة، وهو الشيخ علي الشرواني؛ فيأخذ صحيح البخاري عن الشيخ محمد الحريشي والشيخ محمد الدقاق، كما يأخذ كتاب ابن هشام على شرح التسهيل عن الشيخ محمد الطيب المغربي.

كان الشيخ محمد بن أبي السعود الشرواني يأخذ الحديث عن محمد بن محمد الزواوي، وبالتالي كانت علاقة المغاربة مع علماء المنطقة في غاية القوة، إذ أن المغاربة هم الذين أعطوهم الإجازات، ودرسوهم في حلقات العلم المختلفة، كما سأتطرق إليه لاحقًا، فالشيخ محمد بن سليمان المغربي، وهو أشهر المغاربة في المدينة المنورة ومكة المكرمة خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وهو أستاذ الشيخ خير الدين إلياس مفتي السادة الحنفية في المدينة المنورة، وهذا ما أعطى للمغاربة صلات قوية مع أهل المنطقة، وكانت علاقة المغاربة القوية تظهر بوضوح مع الأتراك، فإضافةً إلى ما سبق ذكره كان الشيخ تاج الدين بن جلال إلياس مفتي الحنفية في المدينة المنورة يأخذ العلم عن العربي الحريشي.

3-1- الإمامة والخطابة: كان هناك عدد هائل من الأئمة والخطباء في الحجاز خاصةً في المدينة المنورة؛ حيث كانوا يتناوبون فيما بينهم، وكان عدد الأئمة على المذاهب الأربعة حوالي

مجلة عصور الجديدة- مجلة مصنفة ج يصدرها مختبرتاريخ الجزائر-
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد11- العدد3 (نوفمبر) 1442-1443هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

120 إمامًا، أما عدد الخطباء فقد وصل إلى حوالي واحد وعشرين خطيبًا، وكان راتب الخطيب والإمام في المنطقة 15 على النحو التالي: راتب الخطيب بـ17516 بارة؛ يضاف إليه 349 بارة ليصل المبلغ النهائي إلى 18000 بارة، وذلك إضافةً إلى بعض الصدقات الأخرى.[16]

ومن المغاربة الدين اشتغلوا بالإمامة والخطابة أحمد الأزهري المغربي الذي تولى الإمامة والخطابة والقضاء عام 1127هـ/1715م،[17] وقد بذل جهدًا كبيرًا في الأحداث السياسية بالمنطقة، وبالرغم من أن المغاربة مالكية المذهب؛ فقد تولى محمد المغربي المالكي الإمامة والخطابة بعد أن غير مذهبه إلى المذهب الحنفي، وظل في وظيفته حتى توفي عام 1197هـ/1782م.

ومنهم في ذات الوظيفة محمد بن أبي بكر الجعفري المتوفى عام 1194هـ/1770م في المسجد النبوي الشريف.[18]

3-2- الآذان: المؤذن هو من يؤذن في المنارة الكبرى على قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت تسمى في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي الريسية نسبةً إلى الرئيس، وهو رئيس المؤذنين الذي كان يعلوها، وبلغ عدد المؤذنين في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي أربعين مؤذنًا؛ كل منهم يطلق عليه إسم مؤذن[19]، ومشيخة الرؤساء في المدينة في بيت الريس الحنبلي، وقد تولت أسرة الريس المغربية هذه الوظيفة.[20]

3-3- وراثة المناصب والوظائف: لقد شهد العصر العثماني انتشار واسعًا لظاهرة شراء الوظائف والمناصب؛ إلا أن هذه الظاهرة أدت إلى نتائج سلبية حتى أعاقت النظام الإداري في كافة أقاليم الدولة العثمانية، حيث أبرزت وثائق القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي هذه الظاهرة بالتفصيل حيث يتولى القاضي خلفًا لوالده القاضي[21]، وكذلك نائب القاضي، وحتى في سلك الفرق العسكرية، وقد انتشرت هذه الظاهرة في كافة الوظائف الدينية والإدارية، وهذا ما ترتب عنه ظهور الفساد الإداري في كافة شؤون الدولة العثمانية، وقد قال في ذلك صاحب الترجمانة رافضًا توريث الوظائف والمناصب وبيعها وشرائها: "هذه إحدى المسائل التي فضل بها المغرب على المشرق، والثانية هذه المناصب الدينية من القضاء والفتوى والتدريس والإمامة والخِطابة لا تباع ولا تشترى كعادة أهل

مجلة عصور الجديدة- مجلة مصنفة ج يصدرها مختبرتاريخ الجزائر-
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد11- العدد3 (نوفمبر) 1442-1443هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

المشرق"[22]، وقد شارك المغاربة[23] في هذا الأمر حتى أصبح من أهم الظواهر الاجتماعية في الحجاز عامةً والمدينة المنورة خاصةً خلال هذا القرن.[24]

3-4- العزل من الوظائف: لقد كانت الفتن والأحداث السياسية سببًا في اضطراب أحوال منطقة الحجاز خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، وكثيرًا ما كانت تصدر الفرمانات السلطانية إلى الإدارة في الحجاز بعزل بعض الأفراد الذين تجاوزوا حدودهم الوظيفية في بعض تلك الأعمال، ولم يكن يشارك في تلك الأعمال من أصحاب الوظائف العسكرية وحسب، بل تعداهم أيضًا إلى بعض الوظائف الدينية، فالشيخ أحمد الأزهري الذي تولى الإمامة والخِطابة ونيابة القضاء[25]، قد شارك في فتن العساكر، وانضم إلى رجال القلعة السلطانية؛ فعرِض أمره على السلطان العثماني محمود الأول الذي أصدر فرمانًا بطرده من المدينة المنورة، وأخذ جميع أمواله معه، حيث تشفّع بالشريف مسعود الذي استطاع الحصول على العفو له بشرط استقراره منفيًا في مكة المكرمة بصحبة الشيخ عبد الله البري الخطيب الذي ظل معه في مكة، ثم رحلا معًا إلى الطائف حيث توفي الشيخ أحمد الأزهري بها سنة 1163هـ/1748م[26].

4- **إشتراك المغاربة في الأحداث السياسية:** لقد كان للمغاربة تصور للحياة السياسية في الحجاز عامةً والمدينة المنورة خاصةً، حيث أصدر الورثيلاني حكما قاسيا على هذا النظام السياسي، ورأى أن الأوضاع كانت تسير من السيئ إلى الأسوء، وأن الحج كاد يسقط في نظر الورثيلاني أمام تلك الأوضاع، والذي كان قد أدى فريضة الحج الأولى عام 1165هـ/1751م، أما حجّتيه الثانية والثالثة فقد كانتا في عهد الأمير مساعد بن سعيد آخ الشريف مسعود المذكور عام 1184هـ/1770م، وقد لاحظ الورثيلاني أن الأمور ساءت كثيرًا بين الحجتين الأولى والثانية، حيث انتشر الظلم وكثرت الإعتداءات، ولم يعد المرء آمنًا على نفسه في الحجاز، ولم يكن الأمر مقصورًا على ظلم الناس بعضهم لبعض بل أصبح يصدر عن الولاة أيضًا[27]، وختم الورثيلاني رأيه بقوله: "وهذ كله يرشد إلى أن الزمان قد زاد في الظلم والتعدي..."، مضيفًا بأن "الحج كاد يسقط في نفوس المسلمين من ظلم الولاة وأصحابهم"[28].

يرى الرحالة المغاربة أن الفساد السياسي في الحجاز ناشئ من أعمال الأشراف حيث يقول الورثيلاني: "ما ضيّع الأحكام إلا الأشراف؛ فإن أمرهم قد قويَ عليَّ وعلى غيري."[29]

مجلة عصور الجديدة- مجلة مصنفة ج يصدرها مختبرتاريخ الجزائر-
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد11- العدد3 (نوفمبر) 1442-1443هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

لقد كان المغاربة على حق في هذا الموقف من الحياة السياسية في الحجاز، وذلك من خلال ما يلي:

4-1- تصرفات الأشراف: إن الأوضاع السياسية السيئة التي سادت الحجاز، والمتمثلة في الفتن ذات الخسائر الكبيرة من تصرفات الأشراف، وذلك لعدم فهمهم للنظريات السياسية أو الإتجاهات السياسية، وكانت معظم تصرفاتهم تحوي الكثير من الغطرسة السياسية، ومن الأمثلة على ذلك أحداث الفتن في سنوات 1134هـ/1721م، و1154هـ/1741م، و1189هـ/1775م، والتي سبق الحديث عنها.[30]

4-2- الصراعات بين الأشراف: لقد سجل الكثير من المؤرخين صراعات سياسية شتّى؛ حيث لم يخلُ الأمر لشريف من الأشراف دون قتال، ولم ينته الصراع إلا بخسائر ليس بين الأشراف فقط بل بين أصحاب الوظائف الرسمية مثل شيخ الحرم المدني أو المكي أو القضاة أو المفتين والعلماء خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، والأمثلة كثيرة كالصراع بين الشريف سعيد بن سعد وبقية الأشراف، والشريف يحيى بن بركات الذي حدث في عهده الكثير من الصراعات في الحجاز.[31]

4-3- فشل الأشراف في السيطرة على الأمن: لقد فشل الأشراف في السيطرة على الأمن في الحجاز عامة والمدينة المنورة خاصة، وإذا عُدنا إلى الأحداث السياسية التي شهدها القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي فمعظمها راجع إلى افتقاد الأمن، حيث يخرج العربان والبدو بالفتن ضد الأشراف والدولة العثمانية بسبب الحقوق الضائعة او طمعاً في حقوق أزيد، فضلاً عن استفزاز الأشراف لهم، وكان من الأجدر على الأشراف أن لا يتخذوا إجراءات تعسفية وقمعية لكن اتخاذهم لمثل هذه المواقف المتشددة من القبائل المحيطة بالحجاز مثل أولاد علي وقبيلة حرب هو الذي أدّى إلى استمرار هذه الفتن[32].

إضافة إلى ذلك فشل الأشراف في السيطرة على الأمن في طرقات الحجاز، وكثيراً ما سجل الرحالة المغاربة بعض تلك الأحداث، والتي خسر فيها المغاربة الكثير من الأفراد من الرجال والنساء إضافة إلى الأموال والمؤن[33]، مما جعل هذه النظرة سائدة عند الرحالة المغاربة خلال ذلك القرن.

مجلة عصور الجديدة- مجلة مصنفة ج يصدرها مختبرتاريخ الجزائر-
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد11- العدد3 (نوفمبر) 1442-1443هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

هناك أمر آخر أود الإشارة إليه هو أن المغاربة كانوا ينظرون إلى ما يحدث في الحجاز كان له صدى كبيرا بينهم، وهذا ما جعلهم يتضامنون مع بعضهم البعض، ومن الأمثلة على ذلك قضية تاج الدين القلعي، وهو الشيخ أبو الفضل ابن القاضي عبد المحسن بن سالم القلعي الحنفي المغربي مفتي مكة، تولى القضاء فيها وتنقل بينها وبين المدينة، حيث جاور فيها في مسجد النبي صلى الله عليه وسلّم[34]، وكان جديراً به أن يكون أحد الأعلام المشهورين الذين دان لهم أهل مكة والمدينة بالعلم والفضل.

لقد كان الشيخ تاج الدين أحد الأئمة والخطباء بالمسجد الحرام، وكانت له نوبة في الإمامة؛ فتأخر قليلاً فصلى بالناس أحد المجاورين؛ فلما أتمّ الصلاة سأل الباشا شيخ الحرم عن صاحب النوبة الذي تأخّر؛ فأجيب أنه الشيخ تاج الدين فأمر بضربه على رجليه؛ فلما سمع بذلك الأئمة إستنكروا هذا الإجراء، واجتمع جماعة منهم مع بعض الأئمة الشافعية منهم الشيخ على العصامي، وكان أكبرهم سناً، وذهبوا إلى الشريف أحمد بن زيد وحكوا له ما وقع وقالوا له: إن جرم التأخير بعذرٍ لا يوجب الإهانة، وطلبوه أن يعفيهم من هذه المهمة، فرفض الشريف طلبهم، وطلب منهم أن يكتبوا سؤالاً إلى المفتي بشأن هذا الأمر؛ فقال المفتي عبد الله عتاقي زاده: "يجب تعذير من أهان أهل العلم"35؛ فذهبت جماعة منهم للشريف أحمد، وأطلعوه على الإجابة التي أجاب بها المفتي؛ فحدثت مشكلة بين المفتي وشيخ الحرم، وكانت نتيجة كل ذلك فتنة كبيرة إمتدّ صداها إلى المدينة المنورة، وهذا ما جعل الشريف المكي يسافر إلى المدينة المنورة لإخمادها، وكانت المكافأة له من السلطان العثماني كبيرة بأن ألبسه الخلعة السنيّة الآتية من السلطان في روضة النبي صلى الله عليه وسلّم[36]، وبذلك انتهت تلك الفتنة التي استمرت عدة أشهر بسبب إهانة الشيخ تاج الدين القلعي المغربي.

5- موقف المغاربة من الحركة الوهابية: إن الأوضاع التي استنكرها المغاربة ممن زاروا الحجاز، والأماني التي عبروا عنها لإنقاذ البلاد والعباد هي نفس المبادئ التي قامت عليها الحركة الوهابية، وأكدوا على أن الإصلاح ليس وقفًا على جهود الحاكم وحده، وهذا تأييد صريح للحركة الإصلاحية بعد أن عجزت السلطة القائمة عن تحقيق ذلك.

مجلة عصور الجديدة- مجلة مصنفة ج يصدرها مختبرتاريخ الجزائر-
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد11- العدد3 (نوفمبر) 1442-1443هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

إن انتشار البدع المختلفة في الحجاز جعل المغاربة يحاربونها بالدعوة إلى إصلاح العباد والبلاد، ومحاربتها بدعوة الناس إلى العودة إلى الدين الإسلامي القويم، وبإقرار الأمن في ربوع البلاد، وعندما قامت الحركة الوهابية بقيادة محمد بن عبد الوهاب في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي اتخذت نفس المبادئ التي نادى بها المغاربة لإصلاح العباد والبلاد[37].

ورغم أن الحركة الوهابية أخذت نفس المبادئ التي نادى بها المغاربة في الإصلاح في بداية الأمر، إلا أن هذا لا يعني أن المغاربة كانوا يؤيدون الحركة تأييدًا مطلقًا، وبخاصةً عندما اكتشفوا أن هذه الأخيرة كان لها أصلين:

- أصل معلن وهو إخلاص التوحيد لله ومحاربة الشرك والأوثان، ولكن ليس لهذا الأصل ما يصدقه من واقع الحركة الوهابية بعد ذلك.[38]

- أصل خفي وهو تمزيق المسلمين، وإثارة الفتن والحروب فيما بينهم خدمةً للمستعمر الغربي، وهذا هو المحور الذي دارت حوله جهود الوهابية منذ نشأتها، فهو الأصل الحقيقي الذي سخر له الأصل المعلن من أجل إغواء البسطاء وعامة الناس.

لقد أثبت المحققون المغاربة في تاريخ الحركة الوهابية أن هذه الدعوة قد أنشئت في الأصل بأمر مباشر من وزارة المستعمرات البريطانية[39]، وهذا ما جعل مجموعة من العلماء المغاربة يصدرون كتبا، ويردون على الحركة الوهابية عندما انحرفت عن مسارها الحقيقي ومن بينهم:

*الشيخ المشرفي المالكي الجزائري في كتابه "إظهار العقوق ممن منع التوسّل بالنبيّ والوليّ الصدوق".

*أبو حامد بن امرزوق في كتابه "التوسّل بالنبيّ وبالصالحين".

*مالك داود في كتابه "الحقائق الإسلامية في الرد على المزاعم الوهابية بأدلة الكتاب والسنة النبوية".

*أحمد بن زيني دحلان في كتابه "الدرر السنية في الرد على الوهابية".

*الشيخ إسماعيل التميمي المالكي التونسي في كتابه "رد على محمد بن عبد الوهاب".

*الشيخ إبراهيم بن عبد القادر الرياحي التونسي في كتابه "رد على الوهابية"[40].

مجلة عصور الجديدة- مجلة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر-
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد11- العدد3 (نوفمبر) 1442-1443هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الخاتمة: بعد هذا العرض يتضح التجانس الكبير بين مختلف أبناء الأقاليم في الحجاز خاصة المدينة المنورة ومكة المكرمة ومنهم المغاربة، حيث كان لهم دور كبير وهام في الأحداث، وكانت لهم مخلفات وبصمات سياسية وإدارية؛ حيث لم يكونوا بمعزل عنها، ومكنهم من ذلك اعتبارهم من أبرز رجال الحجاز خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، وساعدهم على ذلك أيضًا قدم وجودهم في إقليم الحجاز، واستقرارهم فيه واتخاذه موطنًا لهم قبل القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

كما تجلت بشكل واضح مشاركة المغاربة في المناصب الإدارية في الحجاز، خاصة في المدينة المنورة؛ حيث تولوا وظائف كبيرة سواء فيما يخص أمانة بندر ينبع أو القضاء أو غيرها من الوظائف الهامة والكبيرة في المنطقة حينذاك، فضلاً عن مشاركتهم كأفراد في مختلف الفرق العسكرية، إضافة إلى مواقفهم السياسية الكبيرة إزاء أحداثها العظام.

لقد شارك المغاربة في كافة الأحداث، لا سيما ما وقع بين الأشراف من صراعات، وكانت لهم كلمة مسموعة في هذا الصراع، وتمكنوا من فض العديد منها بفضل حنكتهم وعلاقاتهم المتميزة مع الأطراف المتصارعة، وهو ما جعلهم يقفون موقفًا كبيرًا بعد قضية الشيخ تاج الدين القلعي المغربي عقب موقف شيخ الحرم منه.

ولم يكن دور المغاربة قاصرًا على الأحداث السياسية في المنطقة، بل توسع إلى أكثر من ذلك، حيث قاموا بدور قيادي ورائد في صد الحملة الفرنسية على مصر بفضل الشيخ الجيلاني، وهذا ما يؤكد على عقلية المغاربة السياسية والدينية حينذاك وإيمانهم بالمجتمع المسلم في مواجهة غير المسلمين بلا نزعة قومية أو نزعة عصبية.

ومن ناحية أُخرى أبرزت هذه الورقة البحثية أهم ما قدمه المغاربة في الحجاز، ألا وهو ميدان الجهود العلمية؛ حيث درّسوا في الحرم النبوي، وأنشأوا الحلقات العلمية فيه، وفي بعض المدارس كما قدموا جهودًا بارزة في علوم القرآن وعلوم السنة، وغيرها من العلوم، وكانت هي أبرز الجهود إذ ظهر منهم القراء والمحدثون، والفقهاء المالكية، وعلماء اللغة العربة وغيرهم ممن برعوا في علوم أُخرى، إذ كانوا من أبرز العلماء فيها، وشاركوا المصريين والشوام وأهل السند، وكونوا مدرسة علمية كبيرة الشأن في الحجاز.

إن علماء المغرب العربي في الحجاز لم يكونوا أقل مكانة علمية من نظرائهم في المنطقة؛ فقد أشارت الرحلات الى كثير من المواقف التي أبدى فيها المغاربي رأيه في القضايا المثارة، ونال الاعجاب والتقدير.

مجلة عصور الجديدة- مجلة مصنفة ج يصدرها مختبرتاريخ الجزائر-
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد11- العدد3 (نوفمبر) 1442-1443هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-011-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الهوامش:

1- عبد الرحمان الأنصاري، تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من الأنساب، تحقيق محمد العروس المطوي، الطبعة الأولى، المكتبة العتيقة، تونس، 1970 م، ص-ص356-368.----2- جعفر بن هاشم، الأخبار الغريبة في ذكر ما وقع بطينة الحبيبة، مخطوط رقم 2755 تاريخ، مكتبة الحرم المكي، ص56.----3- زين العابدين البرزنجي، "كشف الحجاب والستور كما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور"، مجلة العرب، الجزاءان التاسع والعاشر، على بشرة الشيخ أحمد الجاسر، الرياض، 1985م، ص602.----4- عبد الرحمان الأنصاري، المصدر السابق، ص251.----5- نفسه، ص66.---6- زين العابدين البرزنجي، المصدر السابق، ص602.----7- عبد الرحمان الأنصاري، المصدر السابق، ص.155

8- دار الوثائق، سجلات الروزنامة، دفتر إيرادات ومصروفات الخزينة العامرة عن أقلام، واجب 1111هـ/1699م، حفظ نوعي 6 عين 29 عمومي 2111 خارجي 3/234. ----9- دار الوثائق، سجلات الديوان العالي، س 1 مادة 189، ص.92

10- أبن السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن عبد الله افي771هـ، معيد النعم وسيد النقم، تحقيق: محمد أبو العيون وأبو زيد شلبي، الخانجي، القاهرة، 1995م، ص65.----11- عراقي يوسف، الوجود العثماني في مصر في القرنين السادس عشر والسابع عشر، دار المعارف، القاهرة، 1996م، ص194.----12- سليمان محمد حسين، تجار القاهرة في القرنين السادس عشر والسابع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009م، ص-ص263-264.

13- المشد: أو الشاد وظيفة رقابية فعلية ضبط الأمور التي تخص وظيفته وتعني هنا مراقب الأوضاع داخل الحجرة النبوية. عن الشاد العودة إلى: محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر في العصر المملوكي، الأنجلو، القاهرة، 1982م ص.311

14- عبد الرحمان الأنصاري، المصدر السابق، ص283..

15- بيرتون، الرحلة الحجازية، تحقيق: عبد الله عبد الرحمان الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991م، ص.85

16- دار الوثائق، سجلات الروزنامة، دفاتر الصرة الرومية 1131هـ/1718م عمومي 5382، حفظ نوعي 139 عين 72 مخزن تركي 1.----17- فائز بن موسى، القُضاة في المدينة، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار الإسكندرية للنشر، القاهرة، 1968م، ص245.، ص252.---- 18- عبد الرحمان الأنصاري، المصدر السابق، ص383.----19- أبو هشام عبد الله بن صديق، المصدر السابق، ص140----20- عبد الرحمان الأنصاري، المصدر السابق، ص252. ومجهول، تراجم أعيان المدينة المنورة، تحقيق محمد التونجي، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق، جدة، 1404هـ/1984م.، ص37.

21- أرشيف وزارة الأوقاف، حجة وقف الجيزية عن وصف صلاح الدين الأيوبي، مُؤرخة في 26 شوال 1152هـ/1739م، بتسليم أمير الحاج المصري الصرة المعنية حجة رقم 1336هـ/1455/1ج.----22- دار الوثائق، سجلات الديوان العالي، س1م 198، ص93.وس3م 35 ص17.وس7م104، ص86.----23- نفسه، ص88.----24- نفسه، ص90.----25- فائز بن موسى، المرجع السابق، ص107.----26- عبد الرحمان الأنصاري، المصدر السابق، ص68.----27- أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى الرابع عشر الهجري/16 – 20م، الجزء الأول، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص364.----28- حسن الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بير فونتانا، الجزائر، 1316هـ، ص.422

29- نفسه، ص422.----30- جعفر بن هاشم، المرجع السابق، صص30-32.----31- جارشلي، المصدر السابق، ص.126

32- حسن الورثيلاني، المصدر السابق، ص544.----33- عبد المجيد المنالي، بلوغ المرام الرحلة إلى بيت الله الحرام، مخطوط رقم 3398 تاريخ، مكتبة الرباط، المغرب. ----34- عبد الله مراد، مختصر من كتاب نشير النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، اختصار وترتيب: محمد سعيد العامودي وحمد علي، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، الجزء الأول، ص111. ----35- عبد الله عتاقي زادة: هو الشيخ القاضي، والمفتي عبد الله بن شهي الدين عتاقي زادة المكي الحنفي، له فتاوى، ومؤلفات وكان يسكن دار الخيزران، ظل يُدرس ويفتي حتى تُوفي عام 1118هـ/1706م. أنظر: عبد الله مراد، المصدر السابق، الجزء الثاني، صص263-264.----36- أحمد بن زيني دحلان، المصدر السابق، ص-ص108-109.

37- عبد الكريم كريم، بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر، سبق ذكره، ص82.

38- خيري حماد، أعمدة الاستعمار البريطاني في الوطن العربي، الطبعة الثانية، دار القومية للطباعة والنشر، 1965م ص282. وأنظر كذلك: الحسين بن غنام، تاريخ نجد المسمى "روضة الأفكار والإفهام لمرتاد الإمام والتعداد غزوات الإسلام"، تحقيق: ناصر الدين الأسد، الطبعة الرابعة، دار الشروق، 1415هـ/1994م، ص182.----39- نفسه، ص184. ----40- سليمان بن عبد الوهاب، الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية، مطبعة نخبة الأخبار، السعودية، 1306هـ، ص52.